سيرة الثورة.. ومراحل البناء الوطني

د. سعيد الشيباني:

▫ سمعنا بقيام الثورة من إذاعة صوت العرب فاندفعنا من القاهرة إلى صنعاء

▫ جميع اليمنيين وقفوا مع الثورة وضد القوى المضادة

▫ المنجزات العظيمة التي حققتها الثورة ظاهرة بجلاء

محمد العرشي:

▫ معاناة الشعب المريرة من الإمامة الكهنوتية انتهت يوم ٢٦ سبتمبر

▫ الرئيس الراحل عبد الله السلال كلفني بإدارة أعمال البلدية بصنعاء بعد قيام الثورة مباشرة.

▫ الإنجازات العظيمة التي يشهدها الوطن اليمني اليوم لا ينكرها إلا جاحد

ميدان التحرير بالعاصمة صنعاء

انعتاق من خانق باليقظة مع استمرار سريان رعدة الرعب في الجسم والنفس تدفق دموع إعصار وفرح مرتبط بإحتباس إطلاق البكاء مع طغيان طوفان خشية مجهولة المصدر، كنت كمن يحس بالصحو في جو غائم كالمطلق من السجن بقيوده أو كالنائم يدرك أنه في قبضة كابوس قاتل فيحاول بشتى الوسائل الصوتية والحركية أن يستيقظ فلا يستطيع حتى يوقظه فرحاً مرعوباً عامل خارجي، أي وهو في حالة لا يكاد يصدق نفسه أنه حي يرزق بسبب رعب الكابوس القاتل وقد لزمني ذلك الشعور المشوش جملة من الدقائق قبل أن أستعيد شعوري الواعي بالفرحة الناضجة لروعة ومجد تلك اللحظات، فالمجد والخلود لتلك الطليعة التي وهبت نفسها من أجل تحرر هذا الشعب العريق من قيود وأسواط القهر الاجتماعي الكهنوتي المستغلق، ولتحيا الثورة اليمنية الخالدة.

بدايات البناء الوطني

الإجابة عن هذا السؤال ذي المحتويات الثلاثة بعد مرور ٤٢ عاماً يطلب ما هية ذكرياتي التي لم تزل مختزلة عن أوضاع البلاد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م؟ وعن بدايات عملية البناء الوطني؟ ثم عن المهام التي قمت بها للإسهام في مجال البناء الوطني؟

قبل الإجابة عن محتويات الأسئلة الثلاثة، أثبت هنا، ليس بدون حزن عميق، أنني لم أكن في صبيحة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م بين تلك الطلائع والجماهير الثورية التي أذابت عيونها أبكار أشعة شمس صباح خميس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، حيث كنت لم أزل طالباً جامعياً في ضحى شمس ٢٣ يوليو القاهرة (ج.ع.م آنذاك) فمخزون ذكرياتي عن تلك الصبيحة الرائعة الشروق لم تكن انعكاساً مباشراً معايشاً لواقع صباح ونهار ومساء ذلك اليوم، بل كانت ذكريات سماعية وتصورية متطابقة مع واقع ذلك اليوم والأيام التالية، صنعاء نائمة تقشعر وتهتز من لعلعة الرصاص ودوي المدافع منذ قبيل منتصف الليل حتى انبلاج الصباح، إذاعة صنعاء تبث ((الله أكبر يا بلادي كبري) وتتبع ((باسم الله وباسم الشعب اليمني الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية، تعلن قيادة الثورة أهدافها وسياستها العامة في المجال الداخلي والمجال القومي والمجال الدولي))

تسمع الأسماع وتنقل وتتناقل الأفواه النبأ وتتدافع جماهير الشعب إلى الساحات والشوارع سيلاً جارفاً للتأييد والدفاع عن الثورة والجماهير في كل أرجاء اليمن المتحرر.

وبما أن أولى أولويات بدايات البناء الوطني الأساسية هي تثبيت الثورة والجمهورية، وحماية استمراريتهما والدفاع عن نموهما وتطورها، فإن ألمع وأنصع ما يسطع في ذاكرتي حتى اليوم تلك المظاهر المعبر عنها في البيان الأول للثورة وقرارات مجلس قيادة الثورة والبيان الدستوري الأول والمتجسدة في مختلف تشكيلات وهيئات سلطات الدولة ومؤسساتها (مجلسا قيادة الثورة، رئاسة الجمهورية، الحكومة أو مجلس الوزراء، مجلس الرئاسة ولجانه، لجان شئون القبائل، استقبال تعبئة المتطوعين من أبناء البلاد للدفاع عن الثورة، توزيع وإعادة توزيع القوات المسلحة المتاحة ورجال القبائل والمتطوعين على مواقع الدفاع الاستراتيجية وتطهير المدن والمراكز من قوى الثورة المضادة، تدريب وتخريج دفعات الحرس الوطني نواة الجيش اليمني الحديث، فتح كليات عسكرية ومدارس وعقد اتفاقيات اقتصادية مع الجمهورية العربية المصرية ومع الاتحاد السوفياتي، تشكيل محكمة الشعب، نشوء أول مصرف وطني البنك اليمني للإنشاء والتعمير، صدور العديد من الصحف الوطنية(الثورة، الجمهورية).

كما لم تزل تسطع في ذاكرتي عودة قائدي حركة الأحرار اليمنيين الجمعية اليمنية الكبرى، الاتحاد اليمني، المناضلان اللذان ارتبط اسماهما بالقضية اليمنية منذ عام ١٩٤٣م حتى قيام الثورة ولما يزل ذكرهما رمزاً نضالياً في الثورة اليمنية حتى اليوم، وهما الشاعر السياسي الكبير محمد محمود الزبيري والسياسي الكبير أحمد محمد نعمان، رحمهما الله، في إنشاء أول نقابة عمال في الشطر الشمالي سابقاً وكذلك في الزيارة التاريخية للزعيم العربي السامي الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وكل ذلك ليس سوى غيض من فيض في ذاكرتي.

أما عن المهام التي قمت بها للإسهام في مجال البناء الوطني فاسمح لنفسي أولاً بالقول إن كل يمني عدا القوى المضادة للثورة وللنظام الجمهوري قد أسهم في البناء الوطني بالقدر الذي أهلته وأتاحت له ظروف حياته عسكرياً كان أو مدنياً عالماً أو أديباً أو فناناً أو عاملاً مزارعاً أو حرفياً أو مهنياً، إن كل يمني كافح ضد القوى الرجعية المضادة للثورة،(امتنع عن الالتحاق بها أو حتى اتخاذه موقف حياد أي لا ضد ولا مع الثورة)، يكون قد أسهم في البناء الوطني وكنت واحداً من هؤلاء المواطنين الذين وقفوا مع الثورة والجمهورية والوحدة الوطنية والقومية،و أوضح أنه لم تحدد لي مهام أقوم بها من قبل قيادة الثورة وحكومتها نتيجة لظرفي الطلابي كجميع رفاق الدراسة في القاهرة وفي غيرها، لكني رغم ذلك قد أسهمت كما لم أزل وسأبقى أسهم ما بقيت قادرا بالقدر والكيف المستطاعين واقعياً، وكان مستطاع إسهامي الواقعي يومئذ بل وبعدئذ ذا طابع روحي أو معنوي لم يرق طبعاً حتى مليمتر واحد إلى سمو أولئك الذين قدموا رؤوسهم وأجسامهم ودماءهم في سبيل الثورة والجمهورية والوحدة، لقد كان ما أسهمت به شعراً وعملاً.

أما الشعر، فقصائد شعرية في إذاعة صوت العرب ابتداء منذ ١٩٦٢/٩/٢٨ حتى ١٩٦٣/٣/٣١م وفي إذاعة صنعاء وعلى صحيفة الثورة بعد ذلك كانت أولى تلك القصائد المذاعة من إذاعة صوت العرب بتاريخ ١٩٦٢/٩/٢٨م، هي قصيدة أهازيج البن ومطلعها:

مس من الجن أم صنعاء تناديني
أم صرخة البن دكت في مسامعنا
أم صوت بلقيس يصحو في روابينا.
ليل القرون أضاءت أنجماً فينا.

كما أسهمت بكلمات أغان منها يا نجم يا سامر فوق المصلة، يا طير يا رمادي، شعبي ثار اليوم من ألحان وغناء محمد مرشد ناجي وغناء فهد بلان (يا نجم يا سامر، طير الحمام، حنت رعود على حرض وصرواح، يا رشا يا باردية، ريح الشروق، ويا أخي الصغير من ألحان وغناء فرسان خليفة وغناء رويدا عدنان، جلال فكري وفرسان(ريح الشروق)، وغناء فائزة أحمد (يا أخي الصغير) من العدين، حقول البن، يا طالعين الجبل، وأخرى من ألحان أحمد بن أحمد قاسم وغنائه وغناء فتحية الصغيرة، كالقذيفة من الحان وغناء أحمد السنيدار وأخرى لا مجال لذكرها، وكل مضامين القصائد وكلمات الأغاني سياسية واجتماعية ثورية تمجيداً للثورة والجمهورية والشعب والثوار والوحدة الوطنية والقومية وهجوماً شرساً على أعدائها (الرجعية المضادة والقوى الاستعمارية) والتي ستبقى العدو اللدود للثورة في كل العالم.

منجزات عظيمة

أما عن نظرتي للثورة السبتمبرية الخالدة في عيدها الـ٤٢ وما حققته من إنجازات وطنية عظيمة سأجيب بما يعكسه الواقع الاجتماعي، حيث لا محل هنا لغير الواقع، فالمثل السائر يقول "لا تقل للجمل در وعينه أكبر من عينك) فما تراه العين ويعايش واقعياً وفعلياً يستحيل أن ينكره المثال أو القول مهما بلغت فصاحته وبلاغته، فالجيش الوطني القومي تحقق وإعادة الوحدة تحققت، وأهداف أخرى من أهداف الثورة تحاول أن تتحقق ولا تمكنها الظروف الموضوعية والعوامل الذاتية الداخلية والخارجية المتلازمة والتي لا قبل للثورة مواجهتها حالياً كالقضاء على النفوذ العولمي الأجنبي والعدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات، ذلك لأن العالم ومنه اليمن واقع شاء أو لم يشأ تحت تأثير سيطرية القطب العالمي الواحد الذي أعاد تسييد السوق على الإنسان تحت مظلة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وبتحويل الاقتصاد الاجتماعي إلى اقتصاد السوق والسوق الوطنية إلى سوق أجنبية، فتح من جديد باب الظلم الاجتماعي والقهر القومي ليس على اليمن فقط بل على كل أمم وشعوب العالم الثالث أو البلدان النامية جميعاً.

ما حققته الثورة من منجزات عظيمة، يظهر جلياً فيما لا يحصى من الظواهر المادية والروحية العظمى منها طبقاً لرأيي ورأي من يشاركني في رأيي هذا:

١- وحدة الثورة اليمنية خلال السنوات ١٩٦٢-١٩٦٧م وانتصارها ضد العدو المحتل في الجنوب والتحرر من النظام الملكي الإمامي الكهنوتي المغلق المستغلق والمعزول في الشمال.

٢- مجانية وانتشار التعليم والتثقيف والضمان الاجتماعي والصحي .

٣- تحقيق هدف الثورة اليمنية التاريخي الأسمى المتجسد في إعادة الوحدة الوطنية أرضاً وبشراً وحماية وثبات استمراريتها عام ١٩٩٤م

٤- بناء الجيش الوطني القادر على حماية الوطن ووحدته الوطنية.

الفرحة الكبرى

● الأخ الأستاذ محمد محمد حسين العرشي

كنت في منزلنا الكائن بشارع باب السباح في صنعاء حيث كنت ساكناً مع اخواني المناضلين اللواء علي محمد العرشي واللواء لطف محمد العرشي وكانت أجواء الثورة المباركة قد ظهرت ملامحها على اخواني، وبعد يومين أعلنت إذاعة صنعاء عن قيام الثورة السبتمبرية الظافرة والجمهورية الفتية، وغمرتنا جميعاً الفرحة الكبرى، وحينها توجهت إلى القيادة وتشرفت بمقابلة الزعيم المشير عبد الله السلال رحمه الله ودار الحديث بيننا وبعدها كلفني بإدارة أعمال البلدية في العاصمة صنعاء كأول رئيس بلدية عند قيام الثورة.

ولكم عمت الفرحة الكبرى صنعاء وكافة أرجاء الوطن اليمني شماله وجنوبه وشرقه وغربه، بقيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة لتدك معاقل الإمامة الظلامية لتنقذ الشعب من الظلم والتخلف والفقر والجوع والمرض الذي كان يقاسيه من الحكم الإمامي المقيت حيث هب أبناء اليمن من كافة المناطق اليمنية الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية ووصلوا إلى صنعاء والتحقوا بالحرس الوطني للدفاع عن الثورة والجمهورية، ولا ننسى أيضاً الموقف القومي التاريخي للزعيم الراحل جمال عبدالناصر رحمه الله، ودعم الجيش المصري الشقيق للثورة السبتمبرية فلقد خاض الجيش المصري مع أشقائه الثوار الأحرار أشرس المعارك ضد فلول الملكيين ومرتزقتهم وحققوا أعظم الانتصارات في الدفاع عن الثورة والجمهورية حتى تم القضاء على الإمامة البائدة.

معاناة مريرة

● وأقولها هنا صريحة مدوية للذين لا يعرفون كيف كان الشعب يعيش قبل قيام الثورة السبتمبرية الخالدة فلقد عاش الشعب في معاناة مريرة من الظلم والاستبداد والجهل والتخلف في شتى مناحي الحياة، وكانت اليمن خارج خريطة العالم تعيش في عزلة تامة عن العالم، ويجب على الإعلام أن يصدر كتيبات وينشر في الصحف والمجلات لتعريف الأجيال اليمنية كيف كانت الحياة بائسة في عهد الإمام المباد، فلا توجد طرقات مسفلتة بين المحافظات بل كلها جبال وطرق وعرة وكنا نسافر من صنعاء إلى تعز سيراً على الأقدام أو على الحمير لمدة سبعة أيام.

وفي العاصمة صنعاء كانت لا توجد طرق أو شوارع مسفلتة بل كلها ترابية أما عدد المدارس فقد كانت قليلة جداً وهي مدرسة الأيتام والتي تخرج منها معظم رجال الثورة والمتوسطة والثانوية، وبعض المدارس منها مدرسة الزمر والإصلاح والإرشاد ودار المعلمين.

أما المستشفيات فلا يوجد في صنعاء إلا مستشفى واحد الذي هو حالياً المستشفى الجمهوري والمركز الصحي وبعض العيادات وكل هذه المرافق الصحية ينقصها الكثير من التجهيزات الطبية المطلوبة.

وبالنسبة للسيارات لا توجد إلا عدد من السيارات الحكومية لا تتجاوز أصابع اليد وهي خاصة بالأسرة الحاكمة، وأما الخريجون فكانت تصرف لهم خيول كوسيلة مواصلات لهم.

وفي وقت المغرب يعلن اليسك في صنعاء منع التجول وتغلق أبواب سور صنعاء ويمنع الدخول والخروج منها.

وأذكر أني تلقيت من أخي المناضل لطف محمد العرشي عندما كنت طالباً في القاهرة دعوة لمواصلة دراستي في القاهرة ولكم سررت كثيراً بذلك إلا أن سفري لمدة أسبوع إلى تعز مشياً على الأقدام هو الذي أتعبني لأن المواصلات غير متوفرة سوى سيارة البريد التي كانت تسافر مرة في الأسبوع من صنعاء إلى ذمار فقط، وكان الشعب يقاسي الكثير من المآسي والحرمان.

بداية بلدية صنعاء

أما بدايتي للعمل كرئيس للبلدية فقد قمت في أول يوم للثورة بجولة في صنعاء القديمة والإعلان رسمياً بفتح الأسواق والمجازر الخاصة ببيع اللحم في صنعاء وأصدرت الأوامر للعقال بمراقبة الأسواق ومنع المخالفات للأسعار وأصدرت إعلاناً رسمياً باسم بلدية صنعاء في إذاعة صنعاء إلى كافة المحافظات بفتح الأسواق والمحلات التجارية، مؤكداً على أنه سيتم الضرب بيد من حديد لكل من تسول له نفسه التلاعب بالأسعار والإساءة إلى الثورة والجمهورية، وكان لهذا الإعلان صدى وتجاوز كبير من الجميع.

وبالنسبة لأول مقر لبلدية صنعاء بعد قيام الثورة مباشرة في باب السباح بقسم شرطة جمال جميل حالياً وكان عدد الموظفين الأصليين ثلاثة، علي الفسيل وعبدالله الأمير وحسين الخاشب وعدد العربيات الخاصة بالنظافة في حدود عشر عربيات التي يدفع بها العامل بيديه، وأما المشرفون على النظافة ما يسمونهم (الشوش) فعددهم ستة، هكذا بدأت بلدية صنعاء بعد الثورة مباشرة.

وعند تشكيل أول وزارة للبلدية ضمت مجموعة من اخواننا الشباب المثقف من أصحاب الكفاءات الذين وصلوا إلى صنعاء قادمين من عدن للمشاركة في دعم الثورة وعملية البناء الوطني في أواخر عام ١٩٦٢م وبداية عام ١٩٦٣م مثل الاخوة الأساتذة المناضلين محمد الثلايا ووهيب الشيباني ورياض شمسان والمرحوم عبدالملك الأصبحي وسليم محمد الذين أسهموا بدور فاعل في مجال التخطيط للمرافق، وكان أول عمل للوزارة هو رصف شوارع سوق الملح ابتداء من الميدان أمام قصر السلاح حتى وصلنا إلى شوارع الجامع الكبير حيث كان الرصف يتم بالكري والإسمنت.

وبعد ذلك تحسنت إمكانيات الوزارة في مجال التخطيط وشق الشوارع في صنعاء، وكانت البداية بتخطيط وشق شارع المناضل الشهيد علي عبد المغني، وبدأ الرأسمال الوطني ببناء العمارات في شارع علي عبدالمغني، وكانت أول عمارة بناها المقاول سلام علي رحمه الله، هذه كانت نبذة عن بداية البلدية في صنعاء، والحمد لله اليوم أصبحت في تطور كبير جداً.

إنجازات عظيمة

أما نظرتي إلى الثورة السبتمبرية في عيدها الثاني والأربعين فهي نظرة إعزاز وإكبار لما حققته من إنجازات عظيمة في كافة المجالات، ولولا أن مسيرة الثورة تعرضت في مراحلها الأولى للعديد من التحديات والأزمات، كانت هذه الإنجازات أكبر من ذلك.. ومما لا شك فيه بأنه في العهد الميمون لفخامة الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية حفظه الله وعلى مدى الستة والعشرين عاماً الماضية شهدت البلاد أعظم الإنجازات والمكاسب الوطنية في كافة مجالات الحياة، وتأتي في مقدمتها إعادة تحقيق الوحدة اليمنية وترسيخ النهج الديمقراطي والسياسة الخارجية الحكيمة التي احتلت اليمن مكانة كبيرة في المحافل العربية والدولية، إضافة إلى ما يشهده كل شبر في الوطن اليمني من مشاريع تنموية وخدمية لا حصر لها وهي حقيقة ناصعة لا ينكرها إلا جاحد.. فهنيئاً لليمن أرضاً وشعباً وقيادة بالعيد الثاني والأربعين للثورة السبتمبرية الخالدة.. وكل عام وأنتم بخير..

■ معارك الدفاع عن الثورة والجمهورية